العلامة بين اللسانيات والسيميولوجيا، نقد وتحليل

أ.رضا بيرش

جامعة باتنة

– الملخص:

يحاول هذا المقال بالنقد والتحليل؛ أن يضع حدا فاصلا بين العلامة اللسانية والعلامات السيميولوجية الأخرى، من خلال ضبط المفاهيم والمصطلحات وتحديد المجال لكل منهما، وتبيان وظائف العلامة بأنواعها المختلفة؛ كل في إطار نسقها المنتج لها.

– مفهوم العلامة عند سوسير:

إن طبيعة المنهج العلمي الذي تبناه دي سوسير، في مجال البحث اللساني أفرز رؤية تعاملية تميل إلى الشيء المحدد والمتجانس في ذاته؛ فكانت فكرة النظام[1] اللساني le système linguistique الذي يتكون من وحدات أساسية متوافقة فيما بينها، تسمى هذه الوحدات بالعلامات[2] اللسانية les marques ومن ههنا فإن العلامة اللسانية في نظر دي سوسير هي وحدة النظام[3].

إن العلامة في نظر دي سوسير، توحيد بين مفهوم concept وصورة سمعية image acoustique لا بين شيء واسم[4]، ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الصورة السمعية ليست الأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية، وإنما هي البصمة النفسية للصوت، مثلا كلمة: رجل، هي علامة لسانية مكونة من صورة سمعية؛ وهي مجموعة الأصوات المتتابعة التي تقرع السمع: ر+ـــَـــ+ج+ـــُـــ+ل [radjul]، ومفهوم وهو التصور الذي أثارته الصورة السمعية؛ وهو مجموع السمات الدلالية التي اختزنها الدماغ عن هذه العلامة: (حي+ ناطق+ عاقل+ إنسان+ ذكر+ راشد...)

إن التتابع الصوتي إذا أخذ على حدة لا يكون علامة لسانية مستقلة؛ فما هو إلا ترتيب لأصوات مجردة ليس إلا، كما أن الصفات الدلالية التي تكون مفهوم الرجل، لا تشكل علامة لسانية بمفردها، فهذا يقتضي الاتحاد التام بين الصورة السمعية والمفهوم لتكوين العلامة اللسانية؛ فنسمي علامة لسانية هذا: "المركب المتكون من المفهوم والصورة السمعية"[5]

فالعلامة –وفق تصور دي سوسير– هي كيان نفسي ذو وجهين؛ مفهوم وصورة سمعية أو دال ومدلول، والعلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية أي غير معللة، ويبدو قريبا جدا من هذا التحديد السوسيري للعلامة اللسانية تعريف ابن سينا الذي أورده في كتابه الشفاء؛ قال: (ومعنى دلالة اللفظ؛ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معناه فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس إلتفتت إلى معناه)[6]

وما دامت العلاقة[7] التي تربط العلامة اللغوية بالمفهوم أو الصورة الذهنية؛ غير مبررة وما دامت تقوم على التواضع والاصطلاح البحت بين أبناء الجماعة اللغوية، وما دام مصطلح الاعتباطية يوحي إلى البعض بالصدفة أو عدم الانتظام وهذا أمر مضلل؛ فإني أقترح استبدال مصطلح الاعتباطية بمصطلح التواضعية[8]؛ الذي يشير ضمنا إلى أن العلاقة التي تربط العلامة اللغوية بالمسمى مجرد اصطلاح أو تواضع دون مبرر طبيعي، لذا سأستعمل بمصطلح التواضعية بدلا من مصطلح الاعتباطية.

يظهر من خلال هذا المفهوم للعلامة أن هناك إقصاء للواقع الخارجي الذي تشير إله العلامة (المرجع)، يقول دي سوسير: (إن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم؛ بل تصورا بصورة سمعية)[9]؛ فهو بهذا القول يضع برزخا بين العلامة من حيث هي حقيقة نفسية، والشيء الذي تحيل إليه في الواقع الخارجي[10].

إذا فالعلامة–حسب سوسير– حقيقة مادية محسوسة؛ أي هي شيء يستدعي شيئا آخر بوصفه بديلا عنه، يثير في العقل صورة ذهنية.

العلامة اللسانية والسيميلوجية:

إذا كانت اللسانيات تقتصر في دراستها على النظام التواصلي البشري أي؛ اللغة البشرية المنطوقة بالأساس، فإن السيميولوجيا تهتم بدراسة كل الأنظمة التواصلية المشكلة من علامات –بما في ذلك اللغة– سواء كانت هذه العلامات مسموعة: كالموسيقى وكلمات اللغة وصرخات الحيوانات[11] والأنظمة التواصلية الصوتية المصطنعة؛ كالصرخات وأنواع الصفير التي يتعارف عليها المقاتلون في الحرب أو اللصوص...الخ، أو مرئية: كاللوحات الفنية ورسومات الإنسان القديم والتماثيل والأدوات التي صنعها، أو مدركة بحواس أخرى كحاسة الشم بالنسبة للبخور الذي يستعمل في بعض العبادات أو في أعمال السحر والشعوذة...الخ.

إذن هناك علامات أخرى غير لسانية؛ تتكون من صورة مادية وأخرى ذهنية، وبينها وبين العلامة اللسانية فروقا جوهرية، إن هذا التفريق الذي سنقيمه الآن ليس من باب الترف العلمي بل غاية في الأهمية؛ لأنه يحدد مجال عمل اللساني الذي لا تتعدى أبحاثه حدود العلامة اللسانية.

- مفهوم العلامة:

العلامة بالمعنى العام هي كل صيغة نستبدل فيها شيئا بشيء آخر ليكون نائبا أو بديلا عنه، وبلغة الرياضيات نقول: هي كل عنصر مثل: أ، يمثله عنصر آخر مثل: ب؛ وبذلك يكون بديلا عنه ويغني عن حضوره فكلمة كتاب علامة على ذلك الشيء المصنوع من الورق؛ وذكر هذه اللفظة يغني عن حضوره العيني[12].

نسمي العنصر: "ب" الذي يُمَثل شيئا ما بالدال Le signifiant؛ وهو الحامل المادي للإشارة، ونسمي العنصر: "أ" الذي يمثله غيره بالمدلول Le signifié ؛ وهو العنصر الآخر أو الذهني من الإشارة.

تعد كلمات اللغة علامات نسميها علامات لسانية des marques؛ فهي تتكون من دال وهو التتابع الصوتي أو مجموعة الأصوات[13] المكونة للكلمة أو الجملة، ومن مدلول وهو عبارة عن الصور الذهنية أو المعاني التي تحملها هذه الدوال.

إذن العلامة اللسانية أو اللغوية؛ هي أصوات يعبر بها الإنسان عن المفاهيم أو الصور الذهنية المرتبطة بها، يقول ابن جني: (لكل واحد منها لفظ إذا ذكر عرف به مسماه؛ ليمتاز عن غيره، ويغني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العينين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره)[14]

وبنظرة عجلى في طبيعة العلامة اللسانية يمكن أن نستخلص مجموعة من السمات:

1- طبيعة Naturel:لأنها ناتجة عن عمل جهاز النطق البشري؛ وهذا الجهاز كما هو معلوم أبدعه الخالق الكريم، و لم تصنعه أيادي بني البشر.

2- تتضمن العلامة اللسانية La marque نية في الإبلاغ والاتصال؛ أي أن الإنسان عندما يتكلم فهو يقصد عمدا أن يتصل بغيره.

3- الدال Le signifiant أو حامل الإشارة في العلامة اللسانية وهو ذو طبيعة صوتية.

4- ليس للدليل اللغوي إلا بعد واحد هو بعد الزمن؛ وما دام ذا طابع صوتي؛ فالأصوات تتسلسل عند إحداثها الواحدة تلو الأخرى عبر الزمن[15] في خط واحد أفقي، يسميه اللسانيون مدرج الكلام[16]، وقد تفطن الإنسان منذ القدم لهذه الخاصية؛ لهذا عندما قام بتسجيل بصري أو كتابي للغته جعل لكل حرف[17] بعدا مكانيا خاصا؛ ليعكس بذلك البعد الزمني الخاص لكل فونيم مقابل، تسمح لنا الخطية بالتمييز بين الأنظمة السيميولوجية الصوتية؛ التي يكون فيها الدال ذا طابع صوتي: كاللغة والموسيقى والإشارات الصوتية الحربية التي تعتمد على تتابع صوت أو أصوات معينة لتدل على أمر ما...وبين الأنظمة السيميولوجية البصرية؛ التي تنتظم دوالها في المكان كإشارات المرور.

5- العلاقة[18] التي تربط الدال بالمدلول غير مبررة منطقيا؛ فلا يوجد مثلا في الصورة الذهنية للشمس شيئا يحملنا على أن نسميها شمسا...ولو كان ذلك صحيحا لاتحدت كل اللغات في تسميتها بهذا الاسم، يسمي سوسير العلاقة غير مبررة immotivé منطقيا بـــ"الاعتباطية" L'Arbitraire[19]، كما أن هذه العلاقة إلزامية؛ أي أن أبناء الجماعة اللغوية ملزمون باستعمال هذه الرموز كما

تواضع عليها الجيل السابق، فإذا كان للواضع الأول أن يختار الدال: كلب؛ لذلك الحيوان اللبون والأليف أو أي دال آخر مثل: لكب، برض، ضمز...، فإن أبناء العربية اليوم لا يسعهم إلا استعمال الدال: كلب، إن هذه الإلزامية هي التي جعلت لغة الأجيال السابقة مفهومة بشكل أو بآخر عند أبناء الأجيال اللاحقة؛ وبهذا تحقق اللغة وظيفة نقل معارف وثقافة السابقين.

إن الاصطلاح أو التواضع هو الذي أفضى إلى الإلزام، فالاصطلاح بمثابة العقد والعقد شريعة المتعاقدين[20]، وقبل العقد كان لكل الأطراف حق اختيار أي شرط أو رفضه؛ وهذا ما سماه سوسير بالاعتباطية، لكن بعد العقد هم ملزمون مضطرون إلى التحاكم إلى شروط هذا العقد؛ وهذا هو معنى الإلزام، فنحن من حقنا أن نختار أي مصطلح علمي لأي مسمى جديد؛ لكن بعد الاتفاق فالكل ملزم باستعمال هذا المصطلح؛ وعليه فالإلزام خاصية من خواص النظام اللغوي أو قانون من قوانينه.

من خلال هذا العرض السريع لسمات العلامة اللسانية؛ هناك سؤال مهم يطرح نفسه، هل هذه السمات كلها تميز العلامة اللسانية عن غيرها من العلامات الأخرى؛ أم أن هناك علامات تمتلك بعضا من هذه السمات؟ وإذا كان هذا صحيحا فما هي السمة الأساسية التي تميز العلامة اللسانية عن غيرها تمييزا حاسما؛ بحيث إذا وصفنا تلك العلامة بهذه السمة عرفنا أنها لسانية.

أولا: نبدأ بسمة: طبيعية Naturel، هل هناك علامات غير لسانية طبيعية؟

هذه الخاصية تسمح بتقديم المقاربة الأولى للعلامة، يقدم لنا جورج مونان في كتابه "مفاتيح اللسانيات" مثالا على ذلك بالسماء العاصفة بقوله: "السماء لا تملك نية في التواصل مع عالم الأرصاد الجوي، ولكنها مع ذلك قرينة أو مؤشر على مطر محتمل فالقرينة أو المؤشر l'indice إذن حدث طبيعي[21] لا يمتلك نية في التواصل ويدرك مباشرة دون أية واسطة؛ نتنبأ بواسطته عن حدوث أمر ما لا يمتلك بدوره نية في التواصل[22]، وتقوم العلاقة La relation بين طرفي القرينة على أساس السببية[23]؛ كإحالة الدخان على النار والحمرة على الخجل[24]، وللعلم فالقرينة هي العلامة السيميولوجية الوحيدة التي لا تمتلك نية في الاتصال، وعلى هذا أرى أن تعريف بريتو للقرينة وهو: (حادث ملموس يتيح لنا معرفة شيء عن حادث آخر مخفي)[25]، غير دقيق لأنه لم يشر إلى خاصيتي الإنتاج الطبيعي وانعدام نية الاتصال فكل الإشارات –كما سنرى– حوادث ملموسة تدرك بواسطة الحواس، كما أنها تتيح لنا معرفة شيء آخر مخفي وهو المدلول الذي تحيل عليه.

إذن سمة: طبيعية، ليست حاسمة في تمييز العلامة اللسانية عن غيرها من العلامات.

ثانيا: : نعرج على سمة: نية الإبلاغ، هل هناك علامات غير لسانية تتضمن نية في الإبلاغ أو الاتصال؟.

على خلاف القرينة هناك عدد من العلامات تتضمن نية في التواصل وهي الإشارات والرموز والأيقونات.

1- الإشارة Le Signe: إذا كانت السماء العاصفة لا تمتلك نية الإعلان عن رداءة الطقس، فإن هذه القرينة تؤدي بالمسئول عن أمن الشواطئ إلى رفع العلم الأحمر؛ فالعلم هنا قدم كقرينة اصطناعية تشير إلى خطر السباحة.

فالإشارة إذن حدث يمتلك نية في التواصل، أنتج اصطناعيا ليستخدم كقرينة[26]، وتقوم العلاقة بين طرفي الإشارة على أساس التواضع والاصطلاح وهذا خلافا للرموز والأيقونات التي تمتلك خاصية المشابهة.

ونعني بخاصية التواضع والاصطلاح ؛ أنه لا يوجد في الإشارة ما يدلنا على محتواها فالناس تواضعوا على أن اللون الأحمر يدل على الخطر في إشارات البحر والمرور، كما تعارف أبناء الشعب الجزائري على أن اللون الأحمر في علمهم الوطني يرمز إلى دم الشهداء، ولو كان في اللون الأحمر ما يدل على هذا المعنى أو ذاك لما أمكن استعماله في المعنى الآخر، كما أن هذا التواضع يختلف من مكان لآخر؛ فإذا كان الأوروبيون يستعملون اللون الأسود للدلالة على الحداد، فإن الصينيين يستعملون لنفس الغرض اللون الأبيض[27].

هناك سؤال قد يشغل بال البعض هو: ما دامت الإشارة تمتلك نية في التواصل؛ فهل تعد علامة لسانية؟ الجواب لا لأن النية في التواصل لا تكفي لوحدها لتميز العلامة اللسانية عن غيرها، فالعلامة اللسانية أنتجت طبيعيا مثل القرينة، بواسطة جهاز النطق الذي وُهب للإنسان، ومادامت الإشارة اصطناعية فإنها تنتمي إلى السيميولوجيا وليس إلى اللسانيات.

2-الرمز Le symbole: إشارة ذات علاقة تشابهية؛ حيث شابه فيها الدال ما يدل عليه في ثقافة معطاة، وتقوم العلاقة بين طرفي الرمز-حسب رأيي- على أساس التشابه الجزئي؛ لأن التشابه شبه التام كذلك القائم بين اللوحة الزيتية لشخص ما والشخص الذي تشير إليه، من خصائص الأيقونات.

ومثال الرمز: شكل الحرف: "Z" في لافتات المرور؛ الذي يدل على الطريق المتعرج ويلحظ هنا أن هناك تشابه بين الطريق المتعرج والرمز: "Z"، ومعنى قولنا: "في ثقافة معطاة" أن الرمز يفقد قيمته التشابهية إذا أخرجناه من بيئته الثقافية فالرمز: "Z" ، مثلا لا يدل على الطريق المتعرج في الفصل الدراسي، وربما أصبح يعني اسم شخص يبدأ اسمه بحرف: الزاي "Z " .

3-الأيقونة أو المُصَوَّرَة L'icone: صيغة يدرك فيها الدال كمشابه للمدلول أو مقلد: (من حيث؛ الهيئة أو الصوت أو الشعور أو المذاق أو الرائحة) فيمتلك بعض صفاته[28] يمكننا أن نضرب مثالا لهذا النوع من العلامات بالصورة الفوتوغرافية؛ التي تحيل إلى الشخص المقصود بناء على خاصية المشابهة والتمثال الذي يعد تصويرا حاضرا لمصور يراد تخليده[29].

ويمكنني أن أعرف الأيقونة؛ بأنها رمز طابق ما يدل عليه كالصورة الفوتوغرافية، أو شابه ما يدل عليه مشابهة شبه تامة كما في اللوحة الزيتية لشخص ما، وذلك لأن الصورة الفوتوغرافية أنتجت لتطابق الواقع ما أمكن إلى ذلك سبيلا، أما اللوحة الزيتية فقد أنتجت لتعكس الخصائص الجمالية لما تحيل إليه، وكذلك لتعكس خواص وبصمات الفنان الذي أنتجها، وتميز إنتاجه عن إنتاج غيره من الفنانين.

ثالثا: نعرج الآن على سمة: صوتية الدال، فهل هناك علامات غير لسانية يكون دالها صوتيا؟

لاشك أن هناك علامات عير لسانية كثيرة؛ دوالها ذات طابع صوتي؛ بعضها طبيعي تصنف كقرائن: كأصوات الحيوانات وصوت الرعد، وبعضها اصطناعي؛ تصنف كإشارات كالموسيقى وأصوات الأجراس وصفارات الإنذار...الخ.

إذن سمة: صوتية الدال، ليست حاسمة في تمييز العلامة اللسانية عن غيرها من العلامات.

رابعا: والآن نعرج على سمة خطية الدال اللساني Linéarité، والخطية تعني التتابع في الزمن؛ إذ تأخذ العلامة اللسانية قيمتها من هذه الخطية مثلا كلمة سلم تختلف عن لمس وهذا التعارض الذي أخذته الوحدات اللسانية: ل، س، م، هو من الترتيب أو الخطية.

لكن هل هناك علامات سيميولوجية أخرى خاضعة لقانون الخطية؟

نعم مثلا القطعة الموسيقية إذ تأخذ وجودها عبر الزمن وفق تسلسل خطي؛ وأي تقديم أو تأخير في الوحدات الموسيقية يؤدي إلى خلل في الصولفاج.

وعليه فالخطية سمة غير مائزة للعلامة اللسانية.

خامسا: والآن نعرج على آخر السمات وهي سمة: التواضعية[30] والإلزامية وهي العلاقة التي تربط الدال بالمدلول في العلامة اللسانية La marque، فهل هناك علامات غير لسانية تمتلك هذه الخاصية؟

نلاحظ أن الإشارات ترتبط فيها الدوال بالمدلولات عن طريق التواضع والاصطلاح، لذا فهذه سمة غير حاسمة ولا يمكنها تمييز العلامة اللسانية عن غيرها.

لكننا نلاحظ أن الإلزامية التي نتجت ضرورة عن التواضع —كما مر- مطلقة في العلامة اللسانية؛ أي أننا لا نقوم بالتواضع من جديد من أجل استبدال العلامات التي تواضع عليها السابقون في لغة الحديث اليومية بعلامات أخرى وإن أردنا ذلك ما استطعنا؛ لأن الإلزام قانون النظام ولا يمكننا خرق النظام الذي وضعته الجماعة، فالنظام عقد ألزمنا به أنفسنا سلفا وليس لنا الرجوع فيه، كما أن هذه الإلزامية استطاعت توريث العلامات —أي اللغة- والمحتوى الثقافي الذي تحمله هذه العلامات للأجيال اللاحقة، ولو حدث أن ألغينا قانون الإلزام لما أمكن التواصل بين الأجيال المختلفة.

ولكن هل العلامات السيميولوجية الأخرى؛ التي قامت على علاقة التواضع والاصطلاح (=الإشارة) بين دوالها ومدلولاتها، غير مطلقة الإلزامية؟

نعم فنحن عندما نستبدل لوحة المرور الدالة على الطريق المتعرج؛ والتي تحمل الرمز: Z، بلوحة تحمل عبارة: طريق متعرج، لما فسد شيء، وقد حدث في قانون المرور أن استبدل لون الخط المستمر –الدال على منع التجاوز– الأصفر باللون الأبيض؛ دون أن يؤثر ذلك على نظام المرور.

ويمكننا استبدال أيقونة –صورة فوتوغرافية– لمرشح حزب ما باسمه مباشرة على أوراق الانتخاب، دون أن يحدث أي ضرر، فالعلامة اللسانية إذن يمكنها أن تعوض باقي العلامات السيميولوجية والعكس غير صحيح؛ وذلك عائد –حسب رأيي– لكون العلامات السيميولوجية تستدعي مدلولاتها والعلامة اللسانية الملائمة بإمكانها استدعاء نفس الصورة الذهنية أو مدلول تلك العلامات[31]، والعكس غير ممكن أحيانا فصورة فرعون المحنط لا تستدعي اسمه بالضرورة؛ فلو وضعنا صورة فرعون في مكان اسمه في الآية التالية: (وفرعون ذي الأوتاد)الفجر10. لما تنبه القارئ الذي لا يعلم حيلتنا إلى استدعاء الدال: فرعون وذلك عائد إلى أن الصورة لم تستطع استدعاء الصورة الصوتية.

فالإلزامية هي السمة المائزة للعلامة اللسانية، إذن نستنتج أن الإلزامية المطلقة (والتعويض كذلك) من خواص النظام اللساني والعلامة اللسانية، وهي التي منحتها القدرة التعويضية، التي تجعل العلامة اللسانية قادرة على استدعاء كل الصور الذهنية لباقي العلامات.

العلامة اللسانية	العلامة غير اللسانية
تمتلك نية في التواصل بالضرورة	بعضها يمتلك نية في التواصل كالإشارة والرمز وبعضها لا يمتلك ذلك كالقرينة
إنتاجها طبيعي بواسطة جهاز النطق	إنتاجها قد يكون طبيعيا كالقرينة وقد يكون اصطناعيا كالإشارة والرمز والأيقونة
العلاقة التي تربط الدال بالمدلول تواضعية أي ليست منطقية ولا طبيعية ولا تقوم على المشابهة أو المحاكاة كما أن هذه العلاقة إلزامية لزوما مطلقا أي لا يمكننا تجاوزها.	العلاقة التي تربط الدال بالمدلول قد تكون سببية أو منطقية كما في القرائن أو اصطلاحية كما في الإشارات أو تقوم على المشابهة كما في الرموز أو تقوم على المحاكاة كما في الأيقونات كما أن هذه العلاقة إلزامية لزوما غير مطلق؛ أي يمكننا تجاوزها واستبدال الدال بعلامة لسانية ملائمة؛ يستدعي بدوره المدلول الذي كان يستدعيه الدال الأول
ذات بعد زمني خطي أي أن العلامات اللسانية تنتهي وتموت لحظة إنتاجها كما أنها تتابع في السلسلة الكلامية، وبلغة الرياضيات تنتظم العلامات اللسانية المنطوقة في معلم خطي	ذات بعد مكاني؛ حيث تنتظم العلامات في المكان على ثلاثة أبعاد وبلغة الرياضيات في معلم فضائي، هذا بالنسبة للعلامات البصرية كإشارات المرور دون الصوتية منها كالموسيقى

جدول رقم 1.يبين الفرق بين العلامة اللسانية وباقي العلامات السيميولوجية

الأيقونة	الرمز	الإشارة	القرينة
تمتلك نية في التواصل	تمتلك نية في التواصل	تمتلك نية في التواصل	لا تمتلك نية في التواصل
إنتاجها اصطناعي	إنتاجها اصطناعي	إنتاجها اصطناعي	إنتاجها طبيعي
العلاقة التي تربط الدال بالمدلول تستند على التشابه المحسوس أو المحاكاة	العلاقة التي تربط الدال بالمدلول تستند على التشابه الناقص أو الجزئي	العلاقة التي تربط الدال بالمدلول اصطلاحية ولا يوجد شبه بين الدال وما يدل عليه	العلاقة التي تربط الدال بالمدلول تستند على الربط المباشر[32] أو السببي

جدول رقم: 2. يبين الفروق بين العلامات غير لسانية

- خاتمة:

استعمل سوسير مصطلح Le Signe (=الإشارة)؛ للدلالة على الإشارة اللسانية والسيميولوجية على حد سواء، وتجنبا للبس فقد استعملت مصطلح الإشارة Le Signe للدلالة على أحد أنواع العلامات الاصطناعية السيميولوجية، واستعملت مصطلح العلامة La marque للدلالة على العلامة اللسانية على وجه الخصوص.

كما استعملت مصطلح التواضعية La convention بدلا من المصطلح السوسيري؛ الاعتباطية L'arbitraire، لأن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول في العلامة اللسانية محكومة بالتواضع الجمعي، أو كما عبر سوسير؛ محض اتفاقية، أما الإلزامية L'obligation فهي السمة الوحيدة التي على أساسها نميز العلامة اللسانية عن باقي العلامات السيميولوجية، وليست التواضعية (=الاعتباطية عند سوسير) السمة المائزة لها؛ لان التواضعية سمة اشتركت فيها أكثر من علامة؛ كالإشارة Le Signe والرمز Le symbole والأيقونة L'icone.

الهوامش:

1- النظام System أو البنية stricture هو مجموعة من العناصر تشكل بمجموعها كلا متكاملا مع بعضها البعض، حيث يرتبط كل عنصر بالآخر، وكل عنصر ليس له أي ارتباط بأحد عناصر النظام لا يمكن اعتباره جزءا من هذا النظام، وإذا كانت العناصر تمثل الجانب المادي من النظام فإن العلاقات القائمة بين العناصر تمثل الجانب التجريدي أو الذهني من هذا النظام، والعنصر هو كل وحدة تدخل في علاقة تقابل سلبي مع وحدة أخرى، وبفضل هذا التقابل تأخذ العناصر قيمتها من النظام؛ إذ لا يمكن لأكثر من عنصر أن يؤديا نفس الوظيفة ويأخذا قيمتين مختلفتين من النظام نفسه، إذن يقوم النظام اللساني على التخالفات أو التقابلات السلبية بين عناصره ودون هذه التخالفات تفقد العناصر قيمتها وتميزها؛ وبالتالي يفقد النظام اللساني أهم خاصية هي خاصية الإبانة والوضوح.

2- العلامة هي كل وحدة مثل: أ، تنوب عن شيء أخر مثل: ب؛ وبذلك تكون بديلا عنها وتغني عن حضورها فكلمة كتاب علامة على ذلك الشيء المصنوع من الورق؛ وذكر هذه اللفظة يغني عن حضوره العيني.

3- انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 40.

4- فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ص: 88.

5- انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 40-41.

6- ابن سينا: الشفاء، ص:4، نقلا عن أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 142.

7- العلاقة هي خاصية استدعائية تكون بين عنصرين مثل أ و ب أو أكثر؛ أي أن وجود العنصر أ يستدعي بالضرورة العنصر ب، والعكس صحيح، ويعرفها الجرجاني بقوله: "هي شيء بسببه يصطحب الأول الثاني"، انظر: رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم- عنابة2010، ص: 42.

8- اشتقت هذا المصطلح من المصطلح العربي القديم: "الوضع" الذي يشير عند قدامى علماء العربية إلى: "تخصيص شيء بشيء متى أطلق أو أحس الشيء الأول؛ فهم منه الشيء الثاني، والمراد بالإطلاق استعمال اللفظ إرادة المعنى، والإحساس استعمال اللفظ أعم من أن يكون فيه إرادة المعنى" الجرجاني: التعريفات: ص: 273، وانظر: رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، ص: 49.

9- فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ص: 88.

10- انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص: 44، أظن أن سوسير لاحظ أن الكثير من الكلمات لا تعبر عن أشياء في العالم الواقعي، كالكلمات التي تعبر عن مفاهيم مجردة ألفاظ الحرية، العدل، الحب...وكالألفاظ التي تدل على المخلوقات الأسطورية كالغول وطائر الرخ وسكان كوكب المريخ...وعلى الرغم من ذلك فهي تحيل إلى صورة ذهنية، فالذي ذهب إليه سوسير صحيح.

11- يسمى الفرع الذي يدرس سلوك الحيوانات وأساليبها في التواصل؛ السيميائية الحيوانية la sémantique zoologique، وهي بذلك تتداخل مع فرع آخر هو السيميائية البيولوجية la sémantique biologique؛ التي تهتم بدراسة الأساس البيولوجي للإشارة دانيال تشاندلر: أسس السميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة-بيروت، ط2008/1، ص: 22.

12- انظر: صالح خديش: محاضرات في اللسانيات العامة، ألقاها على طلبة السنة أولى بجامعة فرحات عباس-سطيف، السنة الدراسية: 2002/2001، ص: 1.

13- قد يتساءل البعض ويقول: الحروف المكتوبة أيضا دوال على الكلمات أو الجمل؛ فلماذا قصرنا الدوال اللسانية على أنها صوتية فقط؛ أقول: إن الكلمات المكتوبة هي دوال على الكلمات المنطوقة، أي أننا إذا نظرنا إلى كلمة مكتوبة أحالتنا إلى الكلمة المنطوقة وهذه الأخيرة تحيلنا إلى صورة ذهنية ما، وبعبارة أخرى أقول: إن المدلول الذي تحيلنا عليه الكلمات المكتوبة هو الصور النطقية لهذه الكلمات وليست المعاني؛ وعليه فاللساني العام يقصي من اهتمامه العلامات المكتوبة، وهي داخلة في اهتمامات علماء السيمياء الذين يولون اهتماما بالغا بدلالة الرموز المرئية سواء كانت كتابات أو رسوما، و اهتمامات الفيلولوجيين الذين يعكفون على دراسة كتابات اللغات القديمة كالهيروغليفية، و اهتمامات اللسانيين التطبيقيين؛ الذين يهتمون بقضايا تعليم الإملاء وإصلاح الكتابة...الخ.

14- ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى-بيروت ج44/1.

15- أي أن لكل صوت زمن معين ينطق فيه؛ ويستحيل علينا أن ننطق صوتين في زمن واحد دفعة واحدة.

16- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ط2006/2، دار القصبة- الجزائر، ص: 22.

17- تجنبا للبس في المصطلحات؛ يستعمل اللسانيون العرب مصطلح الحرف graphème للوحدة المكتوبة، ومصطلح صوت أو ألوفون للوحدة المنطوقة، وللحرف الواحد عدة صور كتابية كما للفونيم الواحد عدة صور نطقية؛ مثلا: تكتب الجيم في أول الكلمة هكذا: جـــ، وفي وسط الكلمة هكذا: ـــــجـــ، وفي آخر الكلمة هكذا: ـــــج، عندما تتصل بآخر الحرف السابق، أو هكذا: ج، عندما لا تتصل بآخر الجرف الذي قبلها، وتسمى المتغيرات الكتابية للحرف الواحد بالمتغير الحرفي allographème.

18- العلاقة هي خاصية تلازمية بين شيئين؛ فلا نجد في اللغة دالا بلا مدلول ولا مدلولا بلا دال.

19- انظر: فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ص: 89وما بعدها، والاعتباطية هنا لا تعني الصدفة أو عدم الانتظام والتنسيق كما يفهمه البعض خطأ؛ إنها تعني حسب سوسير أن العلاقة غير مبررة ولا يوجد سبب كاف أو منطقي لتعليل تسميتنا لهذا الشيء بكذا أو بكذا؛ وبعبارة أخرى نقول: الدال لا يمت بصلة للمدلول تستند إلى الواقع، فالاستعمال وحده هو الذي يحدد ذاك وليس الواقع؛ ولا حتى المتكلم الذي لا يمكنه تغيير العلامات، وقد عالج قدامى العرب فكرة الاعتباطية في العلامة للسانية، وذلك عند تعرضهم للدلالة الاصطلاحية أو العرفية، منهم ابن جني: (ألا ترى أنهم –أي العرب- لو استعملوا لجع مكان نجع، لقام مقامه وأغنى مغناه) الخصائص 65/1. إلا انه لم يعمم هذه الفكرة بل سعى ابن جني إلى تعليل العلاقة بين الدوال وما تدل عليه تحت باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

20- أي أن المتعاقدين ملزمون بشروطه.

21- أي أنتجته الطبيعة و لم يصنعه الإنسان.

22- انظر: صالح خديش: محاضرات في اللسانيات العامة، ص: 1، نتصرف يسير.

23- أي أن العقل يجد تلازما بين شيئين؛ بحيث يكون أحدهما سببا في وجود الثاني، فالنار هي سبب وجود الدخان، والأقدام هي سبب وجود الآثار les traces.

24- انظر: نواري سعودي أبو زيد: الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدي عين مليلة_الجزائر2007،ص: 12.

25- زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ص: 102.

26- انظر: محاضرات في اللسانيات العامة: ألقاه د/صالح خديش على طلبة السنة أولى بجامعة فرحات عباس-سطيف، السنة الدراسية: 2002/2001، ص: 2بتصرف.

27- انظر: زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 66.

28- انظر: دانيال تشاندلر: أسس السميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة-بيروت، ط2008/1، ص: 436.

29- انظر: نواري سعودي أبو زيد: الدليل النظري في علم الدلالة، ص: 12.

30- إن العلاقة التي تربط الاسم أو الدال بالمفهوم أو الصورة الذهنية التي يحيل إليها ليست طبيعية أو سببية كما في القرينة؛ فلا يوجد في العلامة اللسانية ما يحملنا على إطلاق تتابعات معينة من الأصوات عليها ، وقد سمي سوسير الخاصية التي تربط العلامة اللغوية بالمفهوم أو الصورة الذهنية بالخاصية التعسفية أو الاعتباطية L'Arbitraire، والاعتباطية هنا لا تعني الصدفة أو عدم الانتظام والتنسيق كما يفهمه البعض خطأ؛ إنها تعني حسب سوسير أن العلاقة غير مبررة ولا يوجد سبب كاف أو منطقي لتعليل تسميتنا لهذا الشيء بكذا أو كذا.

31- لهذا تمكن الإنسان من التعبير عن كل خبراته بواسطة العلامات اللسانية؛ فهي تغنيه عن إحضار الأشياء، مثلا يمكنني أن أنبهك إلى أن الطريق متعرج دون إحضار اللافتة الدالة على ذلك، وتسمى هذه الخاصية بالإحالة آو الإزاحة ولغة الكائنات الأخرى تفتقر لهذه الخاصية؛ لدا فهي لا تعبر عن أشياء غائبة عنها تماما، فلا يمكنها أن تخبر عن أشياء حدثت لها في الماضي.

32- انظر: دانيال تشاندلر: أسس السميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة-بيروت، ط2008/1، ص: 82.

قائمة المراجع:

1- أحمد حساني مباحث في اللسانيات ديوان المطبوعات الجامعية ط 1999.

2- ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، دار الهدى-بيروت.

3- دانيال تشاندلر: أسس السميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة-بيروت، ط2008/1.

4- زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية.

5- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط1997/2.

6- نواري سعودي أبو زيد: الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدي عين مليلة_الجزائر2007.

7- فردينا نده سوسُّر: محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة1986.

8- صالح خديش: مجموعة محاضرات في اللسانيات العامة: ألقاها على طلبة السنة أولى بجامعة فرحات عباس-سطيف، السنة الدراسية: 2002/2001.

9- رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم-عنابة2010.

10- jau- jean Dubois et autres: dictionnaire de linguistique, librairie Larousse 1973.